Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في الآخر ويتأثر بما يحدث له، وكل منهما يفسر بالآخر لأن فيه خصائص منه، ولذلك قيل: «الإِنْسَانُ نُسْخَةٌ مِنَ الأَعْلَى»؛ قال ابن الخطيب:

أَنَــا نُسْخَــةُ الأَكْــوَانِ أُدْمِـجَ خَــطُّهَــا* فَسِــرُّ ذَوِي التَّحْقِيقِ فِي طَيِّ أَوْرَاقِـي
فَمِنْ عَــالَـمِ الأَشْبَــاحِ لَيْلِي وظُلْمَتِـي* وَمِنْ عـالَـمِ الأَرْوَاحِ نُـوري وإِشْـرَاقِي

● هذا الترابط وتبادل التأثير يجعل القول بالأسباب المنظمة غير وارد، وبتعبير آخر ليس هناك سلسلة أسباب مفضلة.

● نزعة التجاذب والتعاطف وتبادل التأثير تجعل كل التراث الإنساني على قدم المساواة، فإذا ما كان هناك تقابل بين الآراء والافتراضات والتوجهات فإن كل رأي أو فرض أو توجه فيه جزء من الحقيقة، فالحقيقة هي جماع الأفكار المتقابلة، وعليه، فإنه ليس هناك مبدأ للهوية وليس هناك مبدأ ثالث مرفوع.

● إن مرد التجاذب هو القرابة الطبيعية بين الكائنات التي صدرت عن واحد أحد. إذن، كل ما في الكون هو ذو أصل واحد إلهي، ذلك الإله الذي هو منزه عن كل الأوصاف والحدود، وإنما يتحقق الوصول إليه بطريق العبادة والتبتل والزهادة.

هذه المبادىء الهرمسية والأفلاطونية المحدثة كانت معروفة لدى الخاصة من مثقفي الأندلس حينئذ، كما كانت متداولة في أوروبا آنذاك ثم تغلغلت، بعدذلك، في الفلسفة الرومانسية وفي كثير من النظريات التأويلية والسيميائية والعلمية الحديثة والمعاصرة.

من خلال ما تقدم يتبين أن كتاب ابن الخطيب تَخَلَّقَ من نواتين أساسيتين هما: الثقافة العربية الإسلامية التي أساسها القرآن، والثقافة الدخيلة بمختلف تياراتها؛ ومع أن ابن الخطيب انتقد هذه الثقافة الدخيلة فإنه تبنى لُبَّهَا وَجَوْهَرَهَا، ولا مناص له ـ وهو يكتب في التصوف ـ إلا أن يفعل ذلك. هكذا انـدمجت لديـه الثقافتـان، إذ يجد القارىء الآيات القرآنية الواردة في الشجرة إلى جانب الأدبيات الهرمسية والأفلاطونية المحدثة حول شجرة المحبة التي تَمَّحي ظلم الحس بنور إشراقها والتي هي «قطب الأفلاك وتنافس الأضواء والأحلاك ومغرد طيور الأملاك وسبب انتظام هذه الأسلاك (. . .) وأن «الحُبّ حيـاةُ النفوس المـوات وعلّةُ امتزاج المـركبـات وسبب ازدواج الحيوان والنبات (. . .)[10].

(10) ابن الخطيب، روضة، ص 103.